التعاهد النبوي للقرآن المجيد .. مفهومه وصوره

إعداد:

عمرو بن صبحي بن علي الشرقاوي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا[1]، وإن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[2].

ورغبة في المشاركة في أجر خدمة الكتاب العزيز، كانت هذه المشاركة في المؤتمر المهيب: ((التلقي القرآني في العهد النبوي .. أنماط ومآلات، ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾)).

وجاءت المشاركة تحت المحور الأول: المنهج النبوي في التلقي، بعنوان: ((التعاهد النبوي للقرآن الكريم .. مفهومه وصوره))[3].

وقد صدق الشاطبي رضي الله عنه حين قال:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلَا

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلًا

وقد بحثت هذا الموضوع وكسرت البحث لعدة مباحث، تحتوي على مجموعة من المطالب، وهي:

1() مقدمة تفسير الإمام ابن جزي، (10/1).

2() جامع البيان، للطبري: (7/1).

3() أثناء إعداد هذا البحث، وجدت أن الأستاذ الفاضل د. دخيل بن عبدالله الدخيل قد بحث هذا الموضوع في رسالته للماجستير: إقراء القرآن الكريم ..منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، من منشورات معهد الإمام الشاطبي، (ص: 111 - 129)، تحت عنوان: تعاهد القرآن، وقد أفدت منه كثيرًا، وزدت عليه ما تيسر .

المبحث الأول: مصطلحات البحث، وتحته:

المطلب الأول: مفهوم التعاهد .. لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مفهوم القرآن

المبحث الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعاهد القرآن الكريم

المبحث الثالث: صور التعاهد النبوي للقرآن الكريم

المطلب الأول: معارضة الملك !

المطلب الثاني: قراءة الحزب

المطلب الثالث: قراءة الصلاة

- القيام بالكتاب

المطلب الرابع: التعاهد العام حضرًا وسفرًا

المبحث الرابع: صورٌ من الائتساء به صلوات الله وسلامه عليه في تعاهد القرآن .

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من حملة القرآن، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يجعلنا من أوليائه العالمين، ووراث نبيه العاملين .

المبحث الأول: مصطلحات البحث

- **تمهيد:**

فهم المصطلحات التي يتداولها الناس من الأمور المستحسنة، والتفريق بينها، وبيان حدودها = معين على عدم الوقوع في الخطأ .

وقد جاء هذا المبحث؛ لبيان بعض المفاهيم الأساسية، والمقدمات التمهيدية التي سيتم تداولها والبناء عليها خلال هذا البحث ..

وهذا مفيدٌ لكي يسير الكاتب والقارئ في مجال تداولي واحد يقطع الطريق على الإشكالات التي يتسبب بها التغاير الاصطلاحي وعدم توارد الألفاظ على محل دلالي واحد.

المطلب الأول: مفهوم التعاهد .. لغة واصطلاحًا

- **أولًا: مفهوم التعاهد في اللغة**

يقوم مفهوم التعاهد في اللغة على ركنيين:

1- حفظ الشيء والاحتفاظ به .

2- إحداث العهد به، أي: تجديده .

قال أهل اللغة: ((المعاهَدة والاعتهاد والتَّعاهُد والتعهُّد وَاحِد، وَهُوَ إِحْدَاث الْعَهْد بِمَا عهِدته))[4].

وقالوا: ((التعاهُدُ: الاحتفاظ بالشيء، وإحداثُ العَهْدِ بِه، وكذلك التَّعَهُّدُ والاعْتِهاد، قال الطرماح:

4() معجم ديوان الأدب، للفارابي: (2/ 466)، وتهذيب اللغة: (1/ 98).

ويَضِيعُ الذي قد أوجَبَهُ ... الله عليه فليس يُعْتَهَدُ

وأعْهَدْتُهُ: أعْطَيْتُهُ عَهْداً.))[5].

ومما يقترب من مفهوم التعاهد في اللغة:

(الحفظ – المواظبة) [6].

- **ثانيًا: مفهوم التعاهد اصطلاحًا**

لا يختلف مفهوم التعاهد في اللغة عن مفهومه الاصطلاحي، ويمكننا أن نعرفه بالتعريف الرسمي فنقول، تعاهد القرآن، هو: ((حفظ القرآن الكريم، وتجديد العهد به)) .

وقد جاء الحث عليه في سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وانطلاقًا من هذا الأمر النبوي بالتعاهد، فقد عقد الأئمة في كتبهم أبوابًا لذكر حثه صلى الله عليه وسلم على تعاهد الكتاب المجيد، قال الإمام عبدالرزاق الصنعاني: ((بَابُ تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ وَنِسْيَانِهِ))[7]، وقال ابن أبي شيبة: ((مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ))[8]، وقال الدارمي: ((بَابُ: فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ))[9].

وعقد البخاري في كتاب فضائل القرآن بابًا بعنوان: ((بَابُ: اسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ))[10].

وكل هذا سيأتي في ثنايا البحث، بإذن مولانا الكريم .

5() العين، المنسوب للخليل: (1/ 103)، ومقاييس اللغة، لابن فارس: (4/ 168).
6() العين: (3/ 198)، (8/ 170).
7() مصنف عبدالرزاق: (3/ 358).
8() مصنف ابن أبي شيبة: (2/ 241)، وانظر: (6/ 123).
9() سنن الدارمي: (3/ 1804).
10() صحيح البخاري: (6/ 193).

المطلب الثاني: مفهوم القرآن

القرآن في اللغة مأخوذ من مادة قرأ، بمعنى تلا، وهذا ظاهرٌ من استخدام هذا اللفظ ومشتقاته في كلام الله سبحانه، وفي كلام رسوله، وفي كلام الصحابة الذين نزل عليهم القرآن.

ومما يدل على أنه مأخوذ من ((قرأ)) بمعنى ((تلا)) قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204]، وقوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ} [يونس: 61]، وقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: 98]، وقوله تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]، وقوله تعالى: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً} [الإسراء: 106] وغيرها من الآيات.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((اقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ))، قَالَ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ فَمَا زَالَ، حَتَّى قَالَ: فِي ثَلاَثٍ))[11].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّهُ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا))، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ المِزْرُ[12]، وَشَرَابٌ مِنَ العَسَلِ البِتْعُ[13]، فَقَالَ: ((كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)). فَانْطَلَقَا، فَقَالَ مُعَاذٌ لِأَبِي مُوسَى: كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا[14]، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي))[15].

11() رواه البخاري: (1978) .

12() نبيذ يُتَّخذ من الشعير، وقيل: يُتخذ من الذرة أيضًا. انظر، النهاية في غريب الحديث والأثر: (4/ 324).

13() نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن، والتاء في البتع تسكَّن وتحرك بالفتح، انظر، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (1/ 94).

14() قال ابن الأثير: (يعني قراءة القرآن؛ أي: لا أقرأ وردي منه دفعة واحدة، لكن أقرؤه شيئًا بعد شيء في ليلي ونهاري، مأخوذ من فُواق الناقة؛ لأنها تُحلَب ثم تُراح حتى تُدِرَّ، ثم تُحلب)، النهاية في غريب الحديث والأثر: (3/ 480).

15() رواه البخاري: (4344) .

فالقرآن بمعنى المقروء، ثم غلب اسمًا على كلام الله تعالى المحفوظ بين دفتي المصحف.

والقرآن في الاصطلاح: كلام الله المنَزل على نبيه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره.

شرح التعريف:

((كلام الله)): عموم يشمل جميع كلامه سبحانه، فيدخل فيه كلامه للملائكة، ولغيرهم.

وخرج بـ ((المنَزل)) ما لم يُنَزل من كلامه لأهل السماء، ويدخل فيه كلامه المنَزل على عموم أنبيائه.

وخرج بقوله: ((على نبيه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم)) ما نزل على غيره من الأنبياء، ويدخل فيه ما نزل عليه من كلام الله كالحديث القدسي.

وخرج بقوله: ((المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره)) الحديث القدسي، وغيره من الكلام المنَزل على محمد صلَّى الله عليه وسلَّم سوى القرآن[16].

16() انظر: المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار: (20/ 22).

المبحث الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعاهد القرآن الكريم

لقد جاء الحث من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على الاستمساك بالكتاب، وهو مستلزم للتعاهد، قال تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الزخرف: 43].

وجعله الله تعالى شارة المصلحين، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} [الأعراف: 170].

وحض النبي صلى الله عليه وسلم على الاستمساك بالكتاب، تلاوةً، ومدارسة، وجاء هذا الحض في صور متعددة منها صورة الحث بلفظ التعاهد:

فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا))[17].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)).

وزاد مسلم: ((وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ))[18].

قال القاضي عياض: معنى ((صاحب القرآن)): أي الذي ألفه، والمؤالفة المصاحبة وهو كقوله: أصحاب الجنة[19].

والقرآن كتاب عزيز له أسرار لا تظهر إلا بطول المصاحبة، فكلما ازدادت صحبة المرء مع القرآن = ازداد معرفة بأسراره، وآياته وبيناته .

17() رواه البخاري (5033)، ومسلم (791) .

18() رواه البخاري (5031)، ومسلم (789) .

19() انظر، فتح الباري لابن حجر: (8/ 696) .

وقال العراقي: ((قَوْلُهُ: الَّذِي أَلِفَهُ يَصْدُقُ بِأَنْ يَأْلَفَ تِلَاوَتَهُ فِي الْمُصْحَفِ مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ حَافِظٍ لَهُ، لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِصَاحِبِ الْقُرْآنِ حَافِظُهُ[20]، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ الزِّيَادَةُ الَّتِي أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ((وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ))، وَلَوْلَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ لَأَمْكَنَ دُخُولُ تِلْكَ الصُّورَةِ فِي الْحَدِيثِ بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّ غَيْرَ الْحَافِظِ الَّذِي أَلِفَ التِّلَاوَةَ فِي الْمُصْحَفِ مَا دَامَ مُسْتَمِرًّا عَلَى ذَلِكَ يَدُلُّ لِسَانُهُ بِهِ وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ، فَإِذَا هَجَرَ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَيْهِ وَصَارَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ))[21].

قال ابن حجر: ((الـمُعَقَّلة: أَيِ الْمَشْدُودَةِ بِالْعِقَالِ، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ فِي رُكْبَةِ الْبَعِيرِ، شَبَّهَ دَرْسَ الْقُرْآنِ وَاسْتِمْرَارَ تِلَاوَتِهِ بِرَبْطِ الْبَعِيرِ الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ الشِّرَادُ، فَمَا زَالَ التَّعَاهُدُ مَوْجُودًا فَالْحِفْظُ مَوْجُودٌ، كَمَا أَنَّ الْبَعِيرَ مَا دَامَ مَشْدُودًا بِالْعِقَالِ فَهُوَ مَحْفُوظٌ .

وَخَصَّ الْإِبِلَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ الْحَيَوَانِ الْإِنْسِيِّ نُفُورًا، وَفِي تَحْصِيلِهَا بَعْدَ اسْتِمْكَانِ نُفُورِهَا صُعُوبَةٌ))[22].

... وَالتَّحْرِيرُ أَنَّ التَّشْبِيهَ وَقَعَ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ بِثَلَاثَةٍ فَحَامِلُ الْقُرْآنِ شُبِّهَ بِصَاحِبِ النَّاقَةِ وَالْقُرْآنُ بِالنَّاقَةِ وَالْحِفْظُ بِالرَّبْطِ))[23].

وجاء الحث بغير لفظ التعاهد، ومنه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ))[24].

واختلف في متعلق الذم من قوله: ((بئس)) على أوجه، وأرجح الأوجه:

أن سَبَبَ الـذَّمِّ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِعَدَمِ الِاعْتِنَاءِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ لَا يَقَعُ النِّسْيَانُ إِلَّا بِتَرْكِ التَّعَاهُدِ وَكَثْرَةِ الْغَفْلَةِ، فَلَوْ تَعَاهَدَهُ بِتِلَاوَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ فِي الصَّلَاةِ لَدَامَ حِفْظُهُ وَتَذَكُّرُهُ .

20() قال ابن حجر: وقوله: ألفه، أي يألف تلاوته، هو أعم من أن يألفها نظرًا من المصحف أو عن ظهر قلب. انظر، فتح الباري: (8/ 696).

21() طرح التثريب، العراقي: (3/ 101).

22() فتح الباري، ابن حجر: (9/ 79).

23() السابق: (9/ 82 - 83).

24() رواه البخاري (5032)، ومسلم (790) .

فَإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ نَسِيتُ الْآيَةَ الْفُلَانِيَّةَ فَكَأَنَّهُ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّفْرِيطِ، فَيَكُونُ مُتَعَلِّقُ الذَّمِّ تَرْكَ الِاسْتِذْكَارِ وَالتَّعَاهُدِ لِأَنَّهُ الَّذِي يُورِثُ النِّسْيَانَ، وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفُ الْأَمْرِ بِاسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ[25].

قال ابن حجر في قوله: ((واستذكروا القرآن)): أَيْ وَاظِبُوا عَلَى تِلَاوَتِهِ وَاطْلُبُوا مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْمُذَاكَرَةَ بِهِ؛ قَالَ الطِّيبِيُّ: وَهُوَ عَطْفٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ: ((بِئْسَ مَا لِأَحَدِكُمْ)) أَيْ: لَا تقصرُوا فِي معاهدته واستذكروه[26].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله أهلين من الناس))، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: ((أهل القرآن هم أهل الله وخاصته))[27].

وفي هذا الحديث بيان لمنزلة حفاظ القرآن والعاملين به والداعين إليه، وهم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به[28].

ومن حثه صلى الله عله وسلم على التعاهد مرغبًا فيه؛ بيان منزلة صاحب القرآن في الآخرة كما جاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها))[29].

ففي هذا الحديث بيان لمنزلة صاحب القرآن الذي كان في الدنيا يلازم القرآن بالتلاوة والعمل، فيقال له عند دخوله الجنة: اقرأ واصعد في درجات الجنة، واقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف[30].

25() رجحه ابن حجر، وجنح إلى هذا القول القرطبي، والقاضي عياض، انظر: فتح الباري، ابن حجر: (9/ 81).

26() السابق: (9/ 81).

27() أخرجه أحمد في مسنده (3/ 127)؛ وابن ماجه (215)؛ والنسائي في الكبرى (8031)، (3206)، وهو صحيح.

28() انظر، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (1/ 83).

29() أخرجه أحمد في مسنده (2/ 192)؛ وأبو داود (1464)؛ والترمذي (2914)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (8056).

30() انظر، تحفة الأحوذي، للمباركفوري: (8/ 186 - 187).

وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ[31] الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ[32]، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ[33]، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[34].

وعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ))، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: ((كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[35]، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا))[36].

ففي هذين الحديثين بيان أن القرآن يشفع لأصحابه وخاصته، المؤمنين به والملازمين لتلاوته، والعاملين بتعاليمه.

ومن ذلك شحذه صلى الله عليه وسلم للهمم بمعاهدة القرآن واغتباط صاحبه، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ))[37].

31() الزهراوان: أي المنيرتان، واحدتهما زهراء.
انظر، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (2/ 321).

32() الغمامتان: مثنى غمامة، وهو السحاب، يقال: أغمت السماء: أي تغيمت. انظر: مختار الصحاح، مادة: (غمم) (ص482)، وأصل التغمية: الستر والتغطية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (3/ 389).

33() الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها. انظر: السابق: (3/ 403).

34() البطلة: فسرهم – هو معاوية بن سلَّام أحد رواة الحديث– بالسحرة تسمية لهم باسم فعلهم لأن ما يأتون به الباطل وإنما لم يقدروا على قراءتها ولم يستطيعوها لزيغهم عن الحق واتهماكهم في الباطل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (1/ 136)؛ وإكمال إكمال المعلم للأبي: (3/ 150).

35() شرق: هو بفتح الراء وإسكانها، أي ضياء ونور، والأشهر في الرواية واللغة الإسكان. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: (6/ 79).

36() رواه مسلم (805).

37() رواه البخاري (5025)، ومسلم (815) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ))[38].

قال ابن كثير: ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن فى غبطة، وهى حُسْنُ الحال، فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال: غَبَطَه يَغْبِطُهُ غبطًا؛ إذا تمنَّى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنّي زوال نعمة المحسود عنه, سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعًا مهلك، وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام.

والحسد الشرعى الممدوح هو تمنّي حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة، ولهذا قال –عليه السلام: ((لا حسد إلا في اثنين))، فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر: 29][39].

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثال لإيضاح المقاصد، دافعًا إلى المداومة على قراءة القرآن، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ))[40]. وفي رواية: ((المؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمؤْمِنُ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ:

38() رواه البخاري (5026).

39() فضائل القرآن، ابن كثير: (201).

40() رواه البخاري (5427)، ومسلم (797) .

كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ خَبِيثٌ - وَرِيحُهَا مُرٌّ))[41].

في هذا الحديث حض على تعاهد القرآن، بتشبيه معقول بمحسوس، فلما كان طيب المطعم وطيب الرائحة في النفس المؤمنة عقليين وكانت الأمور العقلية لا تبرز عن موصوفها إلا بتصويرها بصورة المحسوس المشاهد، شبه صلى الله عليه وسلم بالأترجة الموجود فيها ذلك حسًا تقريبًا للفهم والإدراك، فطيب المطعم في النفس المؤمنة الإيمان لأنه ثابت في النفس هي به طيبة الباطن كثبوته في الأترجة، والطيب الرائحة فيه يرجع إلى قراءته القرآن لأن القراءة قد يتعدى نفعها إلى الغير فينتفع بها المستمع، كما أن طيب رائحة الأترجة تتعدى وينتفع بها المستروح، أي الشام.

والمراد بقوله: ((يقرأ القرآن)): بصيغة المضارع الدوام والاستمرار على تلاوته، لأن المقصود من حفظ القرآن تعاهده بكثرة التلاوة للوقوف على أسرار معانيه والاتعاظ بكريم مواعظه والعمل بشريف أوامره ونواهيه[42].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟))، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ))[43].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: ((فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ))[44].

41() رواه البخاري (5059) .

42() انظر: إكمال إكمال المُعلّم للأبي: (3/ 138 - 139). وانظر: فتح الباري، ابن حجر: (8/ 684).

43() مسلم (803) .

44() مسلم (802) .

ففي هذين الحديثين حثه صلى الله عليه وسلم على المداومة على قراءة القرآن، بقوله: ((كل يوم))، وترغيبه صلى الله عليه وسلم بقوله: ((ومن أعدادهن من الإبل)) محفزًا على كثرة القراءة، وكذلك القراءة في الصلاة، وهو أسلوب تربوي فريد في توجيه اهتمامهم إلى الكنز الحقيقي وهو القرآن الكريم[45].

فترى – أراك الله الخير – أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على صورٍ من التعاهد، وهي: التعاهد العام في كل وقت، وقراءته في الليل، وخاصة في صلاة الليل، وقراءته في النهار .

45() انظر: قراءة القرآن الكريم، د. دخيل بن عبدالله الدخيل: (122).

المبحث الثالث: صور التعاهد النبوي للقرآن الكريم

- **تمهيد:**

يقول الرب تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

وانطلاقًا من هذا التوجيه الكريم، فلا بد من تلمس كيفية تعاهده صلى الله عليه وسلم للقرآن .

وقد وضعت هذا في عدة مطالب، وهي:

المطلب الأول: معارضة الملك !

العرضة من العرض، والمقصود بها: مدارسة جبريل – عليه السلام – القرآن مع النبي. صلى الله عليه وسلم. ، فعن عائشة قالت: أخبرني [أي: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –] «أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري؛ فإنه نعم السلف أنا لك»[46].

وعن فاطمة رضي الله عنها قالت: أسر إلي رسول الله. صلى الله عليه وسلم.: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي»[47].

وعن ابن عباس. رضي الله عنه.: «أن رسول الله. صلى الله عليه وسلم. كان يعرض القرآن في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه؛ فإنه عرض عليه مرتين بحضرة عبد الله (أي: ابن مسعود) فشهد ما

46() أخرجه الإمام أحمد: (6/ 282)، والبخاري: (6285)، ومسلم: (2450)، وابن ماجه: (1621).
47() أخرجه البخاري: (3624).

نسخ منه، وما بدل»[48]، وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: «أي القراءتين ترون كان آخر القراءة؟» قالوا: «قراءة زيد»، قال: «لا، إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل فلما كانت السنة التي قبض فيها، عرضه عليه عرضتين، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن»[49].

وعن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: «عرض القرآن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة»[50].

وعن محمد بن سيرين قال: «يرون أو يرجون أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءتين عهدا بالعرضة الأخيرة»[51].

فهذه المعارضة نوع من أنواع التعاهد للكتاب المجيد، وفيها كان النبي صلى الله عليه وسلم يجدد العهد بالكتاب مع أمين الوحي ذي القوة جبريل عليه السلام .

وقد استفيد منه: أن يكون لحفظ القرآن معارضة سنوية للقراءة على المشايخ المتقنين، أو معارضة ثانية بعد ختم القرآن حفظًا، وتزداد عدد مرات المعارضة بحسب حال الطالب، وأفضل أوقاتها في شهر رمضان تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم[52].

48() اللفظ لابن أبي شيبة (30919).

49() هذا لفظ الإمام أحمد (1/ 275، وغيره) بإسناد لا بأس به.

50() أخرجه الروياني: (825، 834)، والبزار: (4564)، والحاكم: (2/ 231).

51() أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن»، رقم: (74)، وابن شبة في «تاريخ المدينة»: (3/ 994)، وابن سعد: (2/ 195)، وسعيد بن منصور، رقم: (57).

52() تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم، للمجيدي: (ص197).

المطلب الثاني: قراءة الحزب

الحاء والزاء والباء أصل واحد وهو تجميع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس، والطائفة من كل شيء حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن، والحزب: الورد، وورد الرجل من القرآن والصلاة حزبه، والحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالورد(53).

والأصل في التحزيب ما ثبت عن عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ «فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ» قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا» قَالَ: «وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ» قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ» قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ» قَالَ: «فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(54).

وما ثبت عن أَوْسُ بْنُ حُذَيْفَةَ – قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ، قَالَ: فَنَزَلَتِ الْأَحْلَافُ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَأَنْزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي مَالِكٍ فِي قُبَّةٍ لَهُ – قَالَ مُسَدَّدٌ: وَكَانَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَقِيفٍ – قَالَ: كَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَأْتِينَا بَعْدَ الْعِشَاءِ يُحَدِّثُنَا، – وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يُرَاوِحُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ

53() انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: (2/ 55)، ولسان العرب، لابن منظور: (1/ 308).

54() رواه مسلم: (1159).

– وَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُنَا مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا سَوَاءَ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ»، – قَالَ مُسَدَّدٌ بِمَكَّةَ –، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، نُدَالُ عَلَيْهِمْ وَيُدَالُونَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ أَبْطَأَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ، فَقُلْنَا: لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ، قَالَ: «إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتِمَّهُ»، قَالَ أَوْسٌ: سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ، قَالُوا: ثَلَاثٌ، وَخَمْسٌ، وَسَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ[55].

ففي هذين الحديثين أصلٌ في تحزيب القرآن، وتقسيمه حتى يسهل تعاهده، وقد اشتهر هذا التحزيب عند الصحابة رضي الله عنهم .

فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمون القرآن ويحزبونه، قالت عائشة رضي الله عنها: ((إني لأقرأ جزئي – أو قالت: حزبي – وإني لمضطجعة على السرير))[56].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، اقرؤه في سبع، ويحافظ الرجل كل يوم وليلة على جزئه))[57].

55() رواه أحمد: (19021)، وأبو داود: (1393)، وابن ماجة: (1345).
ولفظ أحمد: ((عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ جَدِّهِ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، أَنْزَلَنَا فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُيُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَلَا يَبْرَحُ يُحَدِّثُنَا وَيَشْتَكِي قُرَيْشًا، وَيَشْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: " لَا سَوَاءَ، كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَذَلِّينَ أَوْ مُسْتَضْعَفِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا "، فَمَكَثَ عَنَّا لَيْلَةً لَمْ يَأْتِنَا حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ. قَالَ: قُلْنَا: مَا أَمْكَثَكَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ ". فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحْنَا؟ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ سِتَّ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ مِنْ ق حَتَّى تَخْتِمَ ")).
56() أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (1/ 340)، وأخرجه ابن أبي شيبة: (7/ 190) .
57() أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (5948)، من حديث ابن مسعود، والطبراني في الكبير (8707)؛ والبيهقي (2/ 396)، قال ابن حجر في الفتح (9/ 714): عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح.

قال ابن تيمية: ((فَالصَّحَابَةُ إنَّمَا كَانُوا يحزبونه سُوَرًا تَامَّةً لَا يحزبون السُّورَةَ الْوَاحِدَةَ كَمَا رَوَى أَوْسُ بْنُ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَأَلْت أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ تحزبون الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَاحِدٌ))[58].

ثم قال: ((وَفِيهِ أَنَّهُمْ حزبوه بِالسُّورِ وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا جُزِّئَ الْقُرْآنُ بِالْحُرُوفِ تَجْزِئَةُ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ. هَذِهِ الَّتِي تَكُونُ رُءُوسُ الْأَجْزَاءِ وَالْأَحْزَابِ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ وَأَثْنَاءِ الْقِصَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ وَمَا بَعْدَهُ، وَإِذَا كَانَتْ التَّجْزِئَةُ بِالْحُرُوفِ مُحْدَثَةً مِنْ عَهْدِ الْحَجَّاجِ بِالْعِرَاقِ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ كَانَ لَهُمْ تَحْزِيبٌ آخَرُ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُقَدِّرُونَ تَارَةً بِالْآيَاتِ فَيَقُولُونَ: خَمْسُونَ آيَةً سِتُّونَ آيَةً. وَتَارَةً بِالسُّوَرِ لَكِنَّ تَسْبِيعَهُ بِالْآيَاتِ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ وَلَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فَتَعَيَّنَ التَّحْزِيبُ بِالسُّوَرِ، ... وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ التَّحْزِيبَ بِالسُّورَةِ التَّامَّةِ أَوْلَى مِنْ التَّحْزِيبِ بِالتَّجْزِئَةِ))[59].

واشتهر عند القراء، فقد كان للقراء تحزيب للقراءة مأخوذ من السنة، وهو المعروف عندهم بـ (فمي بشوق):

1- فالفاء = الفاتحة . ويكون السبع الأول من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء .

2- والميم = المائدة . ويكون السبع الثاني من سورة المائدة إلى نهاية سورة التوبة .

3- والياء = يونس . ويكون السبع الثالث من سورة يونس إلى نهاية سورة النحل .

4- والباء = بنو إسرائيل . ويكون السبع الرابع من سورة الإسراء (بنو إسرائيل) إلى نهاية سورة الفرقان .

5- والشين: الشعراء . ويكون السبع الخامس من سورة الشعراء إلى نهاية سورة يس .

6- والواو = والصافات . ويكون السبع السادس من سورة الصافات إلى نهاية سورة الحجرات .

58() أخرجه الطيالسي في مسنده (1204)؛ وأحمد في المسند (4/ 9)؛ وأبو داود (1393)؛ وابن ماجه (1345)؛ والطبراني في المعجم الكبير (599)، واحتج به ابن تيمية في مسألة التحزيب بالسور، انظر: مجموع الفتاوى: (13/ 408).

59() مجموع الفتاوى، ابن تيمية (13/ 408 - 412).

7- والقاف = ق . ويكون السبع السابع من سورة ق إلى نهاية سورة الناس خاتمة القرآن .

المطلب الثالث: قراءة الصلاة

من المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهد فيها القرآن الكريم الصلاة المفروضة سواء كانت سرية أو جهرية وكذلك النوافل، ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَرَأَ فِي المغْرِبِ بِالطُّورِ))[60].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: ((كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدْرَ قِرَاءَةِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الْأُخْرَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ))[61].

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الصُّبْحَ وَأَحَدُنَا يَعْرِفُ جَلِيسَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى المِائَةِ))[62]. والأحاديث في هذا كثيرة.

- **القيام بالكتاب:**

قد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أفضل طرق المعاهدة، والتي ينبغي لحافظ القرآن الاعتناء بها، وهي قيام الليل بالمحفوظ من القرآن، قال الله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)} [الإسراء: 79]، وإن الليل مظنة الحضور والفهم وصفاء النفس وتفريغ القلب من العلائق والشواغل.

والنبي صلى الله عليه وسلم هو المخاطب[63] بذلك، وبقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)} [المزمل: 1-4].

60() البخاري (765)، ومسلم (463) .

61() مسلم (452) .

62() البخاري (771)، ومسلم (461) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه[64]، وكان يطيل القراءة في صلاته؛ كما جاء عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: ((صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ...))[65]، وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: ((قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ..))[66]، ثم يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وهو القدوة في ذلك، بأنه ((إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ))[67]، فتبين من هذا الحديث أن من يقوم بالقرآن يكون حاضر الذهن متذكرًا لآياته، متعاهدًا له.

يقول الشيخ عطيه سالم رحمه الله: ((وَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ[68] – رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ – قَوْلَهُ: لَا يُثَبِّتُ الْقُرْآنَ فِي الصَّدْرِ، وَلَا يُسَهِّلُ حِفْظَهُ وَيُيَسِّرُ فَهْمَهُ إِلَّا الْقِيَامُ بِهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ))[69].

63() قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (19/ 34): وَاخْتُلِفَ أَيْضًا: هَلْ كَانَ – قيام الليل– فَرْضًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ، أَوْ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ؟ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:
الْأَوَّلُ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ لِتَوَجُّهِ الْخِطَابِ إِلَيْهِ خَاصَّةً.
الثَّانِي: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ فَرِيضَةً عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ.
الثَّالِثُ: قَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَهُوَ الصَّحِيحُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُلْتُ: بَلَى! قَالَتْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ. أخرجه مسلم (746) .
64() رواه البخاري (1130)، ومسلم (2819) .
65() رواه مسلم (772) .
66() أخرجه أحمد (23980)، وأبو داود (873).
67() رواه مسلم (789) .
68() محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.
69() أضواء البيان: (8/ 359).

وقد نهج الصحابة رضي الله عنهم نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاهدة القرآن الكريم بتلاوة المحفوظ في صلاة الليل، كما ثبت ((أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، «فَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَةً أَوْتَرَ بِهَا، فَقَرَأَ فِيهَا بِمِائَةِ آيَةٍ مِنَ النِّسَاءِ»، ثُمَّ قَالَ: مَا أَلَوْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ حَيْثُ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَيْهِ وَأَنَا أَقْرَأُ بِمَا قَرَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[70]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ البقرة في ركعة وكان بطيء القراءة[71].

وقد سار السلف الصالح في معاهدة القرآن بهذا المنهج، حتى عُرِفَ بينهم، كما قال أبو عبدالله بن بشر القطان: ما رأيت أحسن انتزاعًا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه[72].

قال القرطبي: ((لا يَقَعُ النِّسْيَانُ إِلَّا بِتَرْكِ التَّعَاهُدِ وَكَثْرَةِ الْغَفْلَةِ فَلَوْ تَعَاهَدَهُ بِتِلَاوَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ فِي الصَّلَاةِ لَدَامَ حِفْظُهُ وَتَذَكُّرُهُ))[73].

70() أخرجه أحمد (19760)، والنسائي (1728) .

71() أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (3300) .

72() انظر: تاريخ الإسلام: (25/ 436)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (15/ 521) .

73() انظر: فتح الباري لابن حجر: (8/ 698) .

المطلب الرابع: التعاهد العام حضرًا وسفرًا

ومن تعاهد النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم قراءته على الدابة، كما جاء عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ – أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ – قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ))[74].

قال ابن كثير: ((وهذا من تعاهُد القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا))[75].

وفيه يظهر حرصه صلى الله عليه وسلم على تعاهد القرآن جليًا حتى على ظهر دابته، وفي حال سفره.

74() رواه البخاري: (5047) .

75() فضائل القرآن، ابن كثير: (1/ 223).

المبحث الرابع: صورٌ من الائتساء به صلوات الله وسلامه عليه في تعاهد القرآن

كانت للسلف رضوان الله عليهم عناية بالغة بكتاب الله تعالى من جوانب شتى، وهذه العناية أثر من آثار تمسكهم بهدي النبي صلى الله علهم وسلم، وقد برز تعاهدهم للقرآن الكريم في عدة جوانب، ومنها:

1- حرصهم على تلاوة القرآن:

يقول الإمام النووي: ((ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه.

فروى ابن أبي داود عن بعض السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليال، وعن الأكثرين في كل سبع ليال، وعن بعضهم في كل ست، وعن بعضهم في كل خمس، وعن بعضهم في كل أربع، وعن كثيرين في كل ثلاث، ... والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة.)).

وقد جاء عن ابن شوذب، قال: ((كان عروة [ابن الزبير] يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الآكلة، فنشرت))[76].

2- حرصهم على الاستماع إلى القرآن:

فكان للصحابة رضوان الله عليهم مجالس للتعاهد يسمعون فيها القرآن، يقول ابن تيمية: ((وَهَذَا كَانَ سَمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَكَابِرِ مَشَايِخِهَا وَأَئِمَّتِهَا كَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ الْمَشَايِخِ = كَإِبْرَاهِيمَ بْنِ

76() سير أعلام النبلاء: (4/ 426).

أَدْهَمَ والْفُضَيْل بْنِ عِيَاضٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني وَمَعْرُوفٍ الْكَرْخِي وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ وَحُذَيْفَةَ المرعشي وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَبْكُونَ[77].

وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اجْتَمَعُوا أَمَرُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَالْبَاقِي يَسْتَمِعُونَ .

وَلِهَذَا السَّمَاعُ مِنْ الْمَوَاجِيدِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَذْوَاقِ الْكَرِيمَةِ وَمَزِيدِ الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ الْجَسِيمَةِ مَا لَا يَتَّسِعُ لَهُ خِطَابٌ وَلَا يَحْوِيهِ كِتَابٌ كَمَا أَنَّ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ بَيَانٌ.))[78].

ولم تكن قراءة أبي موسى إلا قراءة عالم لعلماء يتفهمون عن طريق هذا السماع كلام ربهم سبحانه، وينزلونه على أدوائهم فتحدث الأثر المطلوب .

3- حرصهم على حفظ القرآن:

ومن أمثلة ذلك، قال أبو بكر بن عياش: ((كان الأعمش يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف، فلا يخطئ في حرف))[79].

قال أبو عبد الله بن بشر القطان: ((ما رأيت أحسن انتزاعا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل، والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه))[80].

وهذا وغيره من أمثلة حفظهم، وتعاهدهم لكتاب الله عز شأنه .

4- حرصهم على القيام بالكتاب:

77() انظر: سير أعلام النبلاء: (2/ 391).
78() مجموع الفتاوى: (10/ 81).
79() سير أعلام النبلاء: (6/ 235).
80() سير أعلام النبلاء: (15/ 521).

وقد قال علي رضي الله عنه في وصفهم: ((لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أرى أحدا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فاهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين))[81].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[82].

وكان إذا فاتهم بالليل قضوه بالنهار:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بِالْهَاجِرَةِ، فَحَبَسَنِي طَوِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لِي , وَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ فِي قَضَاءِ وِرْدِي»[83].

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ جُزْئِهِ شَيْءٌ، فَنَشَطَ، قَرَأَهُ بِالنَّهَارِ، أَوْ قَرَأَهُ مِنْ لَيْلَةٍ أُخْرَى» . قَالَ: «وَرُبَّمَا زَادَ أَحَدُهُمْ»[84].

81() حلية الأولياء: (1/ 76).

82() رواه مسلم: (793).

83() فضاءل القرآن، لأبي عبيد: (185).

84() فضائل القرآن، لأبي عبيد: (187).

الخاتمة

وبعد هذا البحث يطيب لي أن أختم بأهمية العودة إلى الأمر الأول، وتلمس حال النبي صلى الله عليه وسلم مع كتاب الله تعالى، تلقيًا، وتبليغًا .

وأهمية معاهدة القرآن العظيم، ورحم الله السخاوي حين قال:

وَبَعْدُ فَالْقُرآنُ نُورٌ مُشْرِقُ ... حَامِلُهُ مُسَدَّدٌ مُوَفَّقُ

وَجَاءَ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ ... ذِي الْفَضْلِ وَالْفَخْرِ الرَّسُولِ الْمُرْشِدِ

فِي فَضْلِ حُفَاظِ الْقُرَانِ الْمَهَرَةْ ... أَنَّهُمُ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةْ

لأَنَّهُ فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةْ ... وَهْيَ بِأَيْدِهِمْ كَمَا قَدْ ذَكَرَهْ

فَالْحَافِظُ الْمُتْقِنُ قَدْ سَاوى الْمَلَكْ ... فَاسْتَعْمِلِ الْجِدَّ فَمَنْ جَدَّ مَلَكْ

فاستعملوا الجد رحمنا الله وإياكم، والحمد لله رب العالمين .

أهم مراجع البحث

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : 1415 هـ - 1995 م .

2. إقراء القرآن الكريم ..منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، د. دخيل بن عبدالله الدخيل، من منشورات معهد الإمام الشاطبي، 1429هـ - 2008 م.

3. تاريخ المدينة المنورة: لابن شبة، تحقيق: علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، عام النشر (1417هـ = 1996م) دار الكتب العلمية، بيروت.

4. تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (1422هـ = 2002م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

5. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

6. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت 1416 هـ .

7. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مع دار هجر، ط. هجر .

8. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م .

9. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم، عام النشر (1394هـ = 1974م)، دار السعادة، محافظة مصر. وتصوير: دار الكتاب العربي، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت.

10. السنن الكبرى: للنسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، الطبعة الأولى (1421هـ = 2001م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

11. سنن: ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

12. سنن: أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

13. سنن: الترمذي، تحقيق:أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية (1395 هـ = 1975م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

14. سنن: سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى (1403هـ = 1982م)، الدار السلفية، الهند.

15. سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة (1405 هـ = 1985م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

16. شرح صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، الطبعة الثانية (1392هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

17. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م .

18. صحيح البخاري = الجامع المسنَد الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: للإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى (1422هـ)، دار طوق النجاة.

19. صحيح مسلم = المسنَد الصحيح المختصر، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

20. طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، الناشر: الطبعة المصرية القديمة.

21. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه وصحَّحه: محب الدين الخطيب، عام النشر (1379هـ)، دار المعرفة، بيروت.

22. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، الطبعة: الأولى، 1415 هـ -1995 م .

23. فضائل القرآن، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر : مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الطبعة الأولى – 1416 هـ .

24. كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

25. مجموع الفتاوى: لابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، عام النشر (1416هـ = 1995م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

26. المسنَد: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين، الطبعة الأولى (1416 هـ = 1995 م)، دار الحديث، القاهرة.

27. المسنَد: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، تحت إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، (1421 هـ = 2001 م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

28. المصاحف: لابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الطبعة الأولى (1423 هـ = 2002 م)، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.

29. المصنَّف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبدالله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى (1425هـ = 2004م)، مكتبة الرشد، الرياض.

30. المُصنَّف: لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية (1403هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

31. معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: 1424 هـ - 2003 م .

32. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

33. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، عام النشر (1399هـ = 1979م)، المكتبة العلمية، بيروت.